**المصطلحات ذات الطابع الإداري والسياسي**

**أ. محرز أمين**

لقد خلّف الوجود العثماني في الجزائر مجموعة من المصطلحات لا يزال عددٌ معتبرٌ منها لم يضبط أصلها الحقيقي أو يدرك معناها الأوّل، ناهيك عن تطوّرها التاريخي ؛ و عليه، فإنّه تجب الإشارة في هذا الصدد أنّ دراسة تلك المصطلحات لا ينبغي أن يقتصر على سياقها "الجزائري"، بل يجدر أن يشمل لمعلومات أوفى و أدقّ مصدرها الأصلي سواء أكان عثمانيًا أو أوروبيًا. و سنسوق فيما يلي بعض النماذج المتنوّعة عن المصطلحات التاريخية الّتي تعود إلى تلك الحقبة :

**بك**/**باي** : يجدر التنويه إلى أنّ لقب "بك"، أي أمير، الّذي حمله عثمان غازي راجع إلى كونه برتبة اوج بكي، و معناها "محافظ الثغور"، في ظلّ السلطنة السلجوقية المتهالكة. و أوّل ما استخدم هذا اللقب في الجزائر سنة 1517 إثر عودة مصلح الدين ريّس من مصر بعد أن قابل السلطان العثماني، الّذي أمدّه بقرابة الألف جندي، معظمهم من قوّات العزب و المتطوّعين (اللوند\*) و السواري (الفرسان)، بالإضافة إلى عددٍ من المدافع ؛ و الأهمّ من ذلك، سلّمه خلعتين سلطانيتين و خطًّا همايونيًا أضفى على عرّوج و أخيه رتبة أمير لواء بحري الّتي تخوّلهما حمل لقب بك (باي)، مصداق ذلك رسالة أعيان الجزائر إلى السلطان المؤرّخة في أوائل ذو القعدة 925 ﻫ/نهاية أكتوبر 1519م، حيث ذكر اسم عرّوج تحت الشكل "أروج بك" (في الأصل العثماني) ؛ علمًا أنّ "بك (باي)" بالمقام الأوّل لقب وظيفة يحمله [ا]مير لوا أو سنجق بكي، أي حاكم مقاطعة عثمانية برتبة باشا ذو طوغ (ذيل حصان) واحد. ولا نعتقد أنّ "بك" يحمل في الوثيقة المذكورة أي تضمين تشريفي مغاير.

و إثر ذلك، اقتسم البايين العثمانيين مناصفة البلاد الجزائرية المفتوحة، "**فكانت الناحية الشرقية لخير الدين و الغربية لأخيه ؛ و استوطن خير الدين مدينة تدلس** (دلس) **من الناحية الشرقية، و جعل معه عسكرًا من جماعة غزاته، و قرّر لهم المرتّب ليستعين بهم على فتح ما بقي من تلك الناحية، و جعل في كلّ موضع من تلك العمالة نائبًا من قبله، فكان عدد نوّابه** (قوّاده) **أربعة**". وهكذا، فإنّهما قاما بتنظيم سنجقيهما وفق أسس الإدارة العثمانية، كما أمرا بالدعاء للسلطان سليم رسميًا على منابر المساجد وضرب السكّة باسمه.

**بكلربك** : لفظ عثماني معناه أمير الأمراء، و ينطق "بايلرباي" ؛ و هو لقب وظيفة يحمله حاكم إيالة عثمانية برتبة باشا ذو طوغين (ذيل حصان). و كان شاغل هذا المنصب مسؤولاً على الإشراف و مراقبة بكوات السناجق، أي الممثّلين المحلّيين للسلطة العثمانية، الّذين كانوا يديرون الألوية (السناجق) و المدن بالاشتراك مع القضاة.

و تجدر الإشارة إلى أنّ منصب بكلربك الروميلي أنشأه السلطان مراد الأوّل على الأرجح في عام (763ﻫ/1362م) ؛ بينما أنشأ السلطان بايزيد الأوّل منصب بكلربك الأناضول في عام (795ﻫ/1393م).

قرّر خير الدين توطيد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، و أقنع أعيان المدينة بتجديد فروض الولاء و الطاعة للسلطان سليم الأوّل ؛ و لقد أشار عليهم بأن يكتبوا للسلطان بذلك، كما كتب هو الآخر رسالة مماثلة يعلم فيها السلطان بمقتل أخيه عرّوج و حراجة موقفه رغم انتصاره الأخير. و كلّف الفقيه أبا العبّاس أحمد بن القاضي برﺋﺎﺳﺔ الوفد، و أرفقه برسوله الخاصّ حاجي حسين آغا ؛ و جهّز أربعة سفن محمّلة بمختلف الهدايا مع أربعين أسيرًا و أربعة قباطنة مسيحيين، لتقلّ الوفد الجزائري إلى الآستانة.

قبِل السلطان سليم الأوّل التماس الوفد الجزائري، حيث أرسل لخير الدين سيفًا مرصّعًا وسنجقًا وخلعة سلطانية وفرمانًا يقضي فيه بتعيينه بايلربايًا على الجزائر، وزوّده بعدد من رجال الحرس.

و إثر عودة الوفد إلى الجزائر في منتصف أبريل 1520م، جمع خير الدين أعيان و رجال دولته في ديوان عامّ، و أعلمهم أنّ السلطان رفع الجزائر إلى مصاف إيالة عثمانية و أنّه رقّاه إلى رتبة بكلربك (بايلرباي) ؛ و تخليدًا لهذه الذكرى، أمر ببناء مسجدٍ حمل اسمه بجوار قصر الإمارة. وقام السلطان العثماني بحلّ مسألة احتياج خير الدين للسلاح والذخيرة، كما زوّده بآلاف الجنود، حيث أرسل له ألفين من عسكر اﻟﻘﭙﻮ قولي\*، معظمهم من أوجاق الإنكشارية، إلى جانب مئات من الصبايحية و الطوبجية، و عزّزهم بحوالي أربعة آلاف متطوّع من الأناضول أدرجهم خير الدين في قوّاته البحرية (العزب و اللوند).

**طوغ :** ذيل حصان كان يعلّق على سارية تعلوها كرة مذهّبة، اتّخذ منذ عهد السلاجقة شعارًا للسلطة. عند العثمانيين، لقد كان الطوغين يرمزان لسلطة البكلربك (بايلرباي)، والثلاثة أطواغ يرمزان للوزير، والأربعة تمنح للسردار، قائد الجيش العثماني ؛ بينما كان شعار السلطان يتكوّن من سبعة أطواغ.

**بيرق :** راية كبيرة ذات سارية حديدية تغرز في الأرض.

**المصادر و المراجع المعتمدة :**

- **مذكّرات خير الدّين بربروس**. ترجمة د. محمّد درّاج. الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

- عبد العزيز محمّد الشناوي، **الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها**، ج. 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004.

- سامح التر، عزيز. **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، ترجمة محمود علي عامر، ط. 1، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

- أوزتونا، يلماز. **تاريخ الدولة العثمانية**. ترجمة عنان محمود سلمان، مراجعة وتحقيق محمود الأنصاري. مج. 1، منشورات مؤسّسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988.

- عبد الجليل التميمي، **"أوّل رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأوّل سنة 1519**"، في : م.ت.م.، 6 (يوليو 1976)، ص ص. 116-120.

- صالح عبّاد، **الجزائر خلال الحكم التركي : 1514-1830**، دار هومه، الجزائر، 2005.

- محمّد درّاج، **الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس (1512-1543)**، الأصالة، الجزائر، 2012.

- كاتب ﭼﻠﺒﻲ، **تحفة الكبار في أسفار البحار**، دار الطباعة المعمورة، القسطنطينية، 1141ﻫ/1724م.

- مجهول. **كتاب غزوات عرّوج وخير الدّين**. تعليق نور الدين عبد القادر. المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر، 1934.

- المدني، أحمد توفيق. **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792**، ط. 3، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

- مانتران، روبير. **تاريخ الدولة العثمانية**. ترجمة بشير السباعي، ج. 1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.

- مبارك بن محمّد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج. 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

- كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510−1541**، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

- عائشة التمالي، **التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م)**، ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2015-2016.

- Diego de Haëdo, **Histoire des rois d’Alger**. Trad. H.-D. de Grammont, Adolphe Jourdan, Alger, 1881.

- R. Mantran, "**L’évolution des relations entre la Tunisie et l’Empire ottoman du XVIe au XIXe siècle**", in : C.T., 26-27, 1959, pp. 319-333.

- Rang, S. & Denis, F. **Fondation de la Régence d’Alger. Histoire des Barberousse, chronique arabe du XVIe siècle**, T. I, Éditions Bouslama, Tunis, 1984.

- Gabriel Colin, **Corpus des inscriptions arabes et turques de l’Algérie. I. Département d’Alger**, Ernest Leroux, Paris, 1901.

- A. Devoulx, « **Les édifices religieux de l’ancien Alger** », in : R.A. 11, 1867, pp. 447-457.

- Asma Moalla, **Sous le toit de l’Empire. La Régence de Tunis 1535-1666 : Genèse d’une province ottomane au Maghreb**,T. 1, Éditions Script, Tunis, 2012.

- Barbier de Meynard, A. C. **Dictionnaire turc-français**. 2e vol., Ernest Leroux, Éditeur. Paris, 1886.